

## التنمية الاقتصادية بين الثروة والفلسفة (دراسة تحليلية)

أ.د. محمد حسين سليمان المحجوب  
جامعة بنغازي، كلية الآداب، قسم الفلسفة

تاريخ الاستلام: 2022/11/10 ؛ تاريخ القبول : 2022/12/02

### ملخص:

تُعد التنمية الاقتصادية من الأهداف الجوهرية لجل شعوب العالم وهي تقوم على أسس معينة أهمها الفلسفة أو الإستراتيجية والثروة التي تمتلكها الشعوب، وهنا يركز هذا البحث حديثه بحيث يؤكد على ضرورة حرية بناء الفلسفة، وكذلك حرية التصرف في الثروات الطبيعية والبشرية من أجل تنميتها في مسارها الصحيح، ولكن البحث يدل على أن الشعوب التي لا تمتلك حرية التصرف في الثروة ولم تمنح فرصة للتفكير لبناء حياتها لأنها لم تحقق التنمية المرجوة، وكان المثال جمهورية إيران والباكستان والنتائج السيئة لهما نموذجاً يعزز رؤية هذا البحث في فرضيته القائلة: " لا تنمية بدون فلسفة ولا تنمية بدون ثروة " فكانت النتائج التي توصل إليها ربما وجود تنمية ولكنها تنمية قاصرة، ولهذا تعددت الأسباب منها الدول المستعمرة و رؤيتها كما أشار لها (أدم سميث) و وضحت في متن هذا البحث.

### Abstract:

Economic development is one of the fundamental goals of the most peoples in the world and it is based on certain foundations, the most important of which is the philosophy or strategy and the wealth owned by the peoples. However, the peoples who do not have the freedom to dispose of wealth and were not given an opportunity to improve their lives, did not achieve the desired development, Example of the Republic of Iran and Pakistan , needed a model that reinforces the vision of this research in its hypothesis that “there is no development without philosophy and no development without wealth.” The results that may be reached by the existence of development, can be considered a deficient development, and as a result there are many reasons for that including: the colonial countries and their vision as indicated by Adam Smith and explained in the body of this research.

#### فرضية البحث:

لا تنمية بدون فلسفة (إستراتيجية) ولا تنمية بثروة مقيدة.

#### مشكلة البحث:

محاولة معرفة كيفية توظيف الثروة و الفلسفة، في التنمية الإقتصادية و أيها الأهم في ذلك ودور الجهات الخارجية في التنمية المحلية داخل الدولة.

#### هدف البحث:

معرفة فاعلية الحكومات تجاه السكان في التنمية الإقتصادية التي تصاغ في بعض كتب الإقتصاد بالقول: بأن السكان والتنمية الإقتصادية Population Economic Development مهمان لإنجاز التنمية الإقتصادية والفائدة أو المضار التي تلحق بهم.

#### أهمية البحث:

إيضاح أن التنمية الإقتصادية لها أهمية كبيرة في تطوير القطاعات الإقتصادية في الدول وإبراز العناصر الفاعلة فيها والتقليل من الفرق الإجتماعي والإقتصادي بين طبقات المجتمع، من أجل تحقق الأمن والإستقرار خصوصاً في الدول التي تعرضت لهزات إجتماعية كبيرة وتنقصها فكرة النُّقْلة نحو المستقبل.

#### منهج البحث:

استردادي تحليلي وهذا المنهج يتفق مع طبيعة موضوع البحث.

#### الدراسات السابقة:

يدخل هذا الموضوع في الدراسات الإقتصادية في علم الإقتصاد وفلسفته بصورة شاملة ولكن بتخصيص فكرة التنمية الإقتصادية وعلاقتها بالفلسفة تجعله متميزاً في الدراسات الفلسفية على الرغم من صعوبة الفصل بين التداخل الإقتصادي وفلسفة السياسة.

## التنمية Development:

يُعد مفهوم التنمية من مصادر الفعل نما وتعني لغة "نمى، النماء، الزيادة. نمى ينمي نمياً ونُمياً ونماء زاد وكثر، وربما قالوا يَنُمُو نُمُوًّا قال (الجوهرى 393هـ): وتقول نَمَيْتُ الحديد إلى غيري نمياً إذا أسندته ورفعته"<sup>(1)</sup> وعرفت التنمية اصطلاحاً بعدة تعريفات منها القول: "التنمية هي النمو المدروس على أسس علمية، الذي قيست أبعاده بمقاييس علمية، سواء كانت تنمية شاملة أو تنمية في أحد الميادين الرئيسية مثل الميدان الإقتصادي والإجتماعي والسياسي أو الميادين الفرعية مثل التنمية الصناعية والتنمية الزراعية.

وفي تعريف آخر: أن التنمية التحريك العلمي المخطط لمجموعة من العمليات الإجتماعية والإقتصادية من خلال إيديولوجية معينة، لتحقيق التغيير المستهدف من أجل الإنتقال من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب الوصول إليها، ولا تعني التنمية ازدياد الإنتاج والدخل الزائد فحسب، بل هي تعني تغيير وتحسين النية الإقتصادية والإجتماعية والثقافية في الوقت نفسه"<sup>(2)</sup> إذن التنمية تقوم على استراتيجية فلسفية علمية تملك هدفاً متعيّناً تسعى لتحقيقه، والتنمية بشكل مختصر هي أفكار تتطور إلى مقترحات تنموية، هذه الأفكار تكون رافداً مهماً وهو الثروة التي تقام عليها فلسفة التنمية.

وقد ظهر مفهوم التنمية في العصر الحديث، واهتمت به الدول الحديثة بشكل كبير، نظراً إلى الآثار الإيجابية التي تترتب عليها في جميع مجالات الحياة وتأثيرها الحساس و المباشر في حياة أفراد المجتمع، لذلك وُضعت الخطط الإستراتيجية المدروسة في سبيل تحقيق أنواع التنمية المختلفة، فما هو مفهوم التنمية؟ إعادة تعريف التنمية هنا قائمة على فكرة انتقال المفهوم من معنى يمتلكه لذاته إلى معنى عملي صار مراد التحقيق، من خلال تفعيل المفهوم في مسار يؤثر في نسق اجتماعي لأن علم الإقتصاد الذي عليه تقوم فلسفته هو علم اجتماعي، و" تعريف التنمية لغة: الزيادة، والنماء، والكثرة، والوفرة، ومضاعفة التنمية، و اصطلاحاً: اختلفت مفاهيم التنمية اصطلاحاً من شخص لآخر تبعاً للمضمون الذي يركّز عليه، لكن يمكن إجمال التعاريف للتنمية بأنّها: عبارة عن التغيير الإرادي الذي يحدث في المجتمع سواءً اجتماعياً أم اقتصادياً أم سياسياً، بحيث ينتقل من خلاله من الوضع الحالي الذي هو عليه إلى الوضع الذي ينبغي أن يكون عليه، بهدف تطوير وتحسين أحوال الناس من خلال استغلال جميع الموارد والطاقات المتاحة حتى تستغل في مكانها الصحيح، ويعتمد هذا التغيير بشكل أساسي على مشاركة أفراد المجتمع نفسه"<sup>(3)</sup>. ويفرّق العلماء بين مفهوم النمو والتنمية، فالتنمية ترتبط دائماً بتغييرات جذرية في هيكل المؤسسة نفسها وليس فقط على النتيجة كما هو الحال في النمو، وهنا نؤكد على أن فكرة التنمية تتم في ظل علم الإقتصاد الذي يرى بعض الباحثين فيه أنه " علم الإقتصاد النظري والتطبيقي"<sup>(4)</sup> بمعنى يوجد

النظرية ويحاول تطبيقها في مجاله هذا إذا كان مجال التنمية في الاقتصاد، وربما تسهم العلوم الأخرى في تنمويات مختلفة كما في التنمية الاجتماعية بحيث يكون لعلم الاجتماع دور متميز في تلك التنمية بناء على فلسفة اجتماعية تطبق.

### التنمية الاقتصادية **Economical development**:

هي عبارة عن تشجيع الأفراد على العمل والإخلاص والحرص على المصلحة العامة، من خلال توعية المواطن بقيمة الجوانب الاقتصادية وكيفية إنتاجها والمحافظة عليها، وتذكر المراجع العلمية أن مفهوم التنمية الاقتصادية " أطلق على عملية تأسيس نظم اقتصادية وسياسية متماسكة فيما يُسمى بـ عملية التنمية"<sup>(5)</sup> و يمكن تلمس هذه الفكرة عند (أفلاطون Plato – 348 ق.م) من خلال تقسيم العمل الذي أصبح جوهرياً في الفكر الاقتصادي الكلاسيكي وخصوصاً في كتاب ثروة الأمم عند آدم سميث Adam Smith (1723 – 1790 م) كان هدف (أفلاطون) تشغيل كل سكان الجمهورية ومحاربة الفقر الذي يُعد جوهر الفتن قديماً وحديثاً.

وتبرز أهمية مفهوم التنمية في تعدد أبعاده ومستوياته، وتشابكه مع العديد من المفاهيم الأخرى مثل التخطيط والإنتاج والتقدم. " وقد برز مفهوم التنمية Development بصورة أساسية منذ الحرب العالمية الثانية، حيث لم يُستعمل هذا المفهوم منذ ظهوره في عصر الإقتصادي البريطاني البارز (آدم سميث) في الربع الأخير من القرن الثامن عشر وحتى الحرب العالمية الثانية إلا على سبيل الاستثناء، فالمصطلحان اللذان استُخدما للدلالة على حدوث التطور المشار إليه في المجتمع كانا التقدم المادي Material Progress، أو التقدم الاقتصادي Economic Progress وحتى عندما ثارت مسألة تطوير بعض اقتصاديات أوروبا الشرقية في القرن التاسع عشر كانت الإصطلاحات المستخدمة هي التحديث Modernization، أو التصنيع. Industrialization."<sup>(6)</sup> وقد ارتبط ظهور مفهوم التنمية الاقتصادية بنمط معين من التفكير في مجال علم محدد وهو علم الاقتصاد" و برز مفهوم التنمية Development بداية في علم الاقتصاد حيث استُخدم للدلالة على عملية إحداث مجموعة من التغيرات الجذرية في مجتمع معين، بهدف إكساب ذلك المجتمع القدرة على التطور الذاتي المستمر بمعدل يضمن التحسين المتزايد في نوعية الحياة لكل أفرادها، ثم انتقل مفهوم التنمية إلى حقل السياسة منذ ستينيات القرن العشرين، حيث ظهر بإعتباره كحقل منفرداً يهتم بتطوير البلدان غير الأوروبية تجاه الديمقراطية"<sup>(7)</sup> و من خلال علم الاقتصاد وجد مفهوم التنمية الاقتصادية في إطار علم وهدف وغاية بدلالة العلم الذي يمتلك وظيفة العلم المتمثلة في طبيعته وهي " أن وظيفة العلم ليست في حشد الحقائق والوقائع فحسب، لأن

الوقائع والحقائق لا يمكن أن تنبئ بنفسها دون إخضاعها للتحليل المنطقي<sup>(8)</sup> وهنا يكون هذا التحليل لصالح فكرة التنمية الاقتصادية.

ومفهوم التنمية الاقتصادية تأخر في دخوله وتطبيقه في بعض الدول وهي الدول الموسومة بالتخلف " انقضى الآن ما يزيد قليلاً على نصف قرن منذ ظهور ما عرف ب اقتصاديات التنمية Development Economics كفرع متميز من فروع علم الاقتصاد ينصب أساساً على ذلك الجزء من العالم المشهور بالعالم الثالث أو المتخلف"<sup>(9)</sup> و يمكن إرجاع ذلك إلى عدم وجود فلسفة إقتصادية، وكذلك قلة أو انعدام ملكية هذه الدول لمقدراتها التي بها يحدث فعل التنمية، وتغير الهيكل الإقتصادي هو عماد التنمية الإقتصادية وبه عرفت بالقول: "إضافة إلى النمو، وهو ارتفاع في الدخل الفردي، تعني التغيرات الأساسية في الهيكل الإقتصادي للبلد المعني"<sup>(10)</sup> وهنا أضيف إلى هذا التعريف أنه يجب أن يكون هناك فلسفة وإرادة لإحداث التغيرات المذكورة في التعريف السابق، عند هذه النقطة يقع السؤال المنطقي التغيرات لها مجالات متعددة ففي أي اتجاه يكون التغير الصائب؟ سوف نذكر بعض الأمثلة من تاريخ التنمية الإقتصادية لذلك فالتنمية الإقتصادية هي: "الإجراءات المستدامة والمنسقة التي يتخذها صناع السياسة والجماعات المشتركة، التي تساهم في تعزيز مستوى المعيشة والصحة الإقتصادية لمنطقة معينة، كذلك يمكن أن تشير التنمية الإقتصادية إلى التغيرات الكمية والنوعية التي يشهدها الإقتصاد"<sup>(11)</sup> من هذا التعريف تتضح العلاقة الوثيقة بين السياسة والتنمية التي تكاد تكون علاقة عضوية حسب تاريخ السياسة وكذلك الإقتصاد، وتعرف التنمية الإقتصادية Economic Development خلق للثروة التي تُفيد المجتمع، فهي استثمار في تنمية الإقتصاد من أجل توفير الرخاء وجودة الحياة الأفضل لجميع السكان، و يختلف تعريف التنمية الإقتصادية من شخص لآخر و لكن بشكلٍ عام تُعرف: على أنها تخصيص موارد مُحددة مثل: الأراضي، الأيدي العاملة، ريادة الأعمال، من أجل زيادة مُستوى النشاط التجاري وزيادة نسبة التوظيف، و توزيع الدخل والملاءة المالية"<sup>(12)</sup> بالنظر لهذا التعريف يمكن القول بثقة أن التنمية الإقتصادية تقوم على السكان وبهم في ذات الوقت وهذا يقود إلى القول بأن التنمية الإقتصادية هي إحدى السمات العامة للمشكلة الإقتصادية التي تعرف بكونها تنحصر في أن الموارد الإقتصادية نادرة ومحدودة من جهة وأن رغبات الأفراد متجددة وغير محددة"<sup>(13)</sup> وتتخلص المشكلة الإقتصادية في:

1- " أن الموارد الإقتصادية نادرة أو محدودة حيث إنها لا تتوافر بكميات تكفي لإنتاج كل السلع

والخدمات المرغوب فيها.

2- أن الرغبات المادية للإنسان غير محددة"<sup>(14)</sup> في هذا البحث نتحدث عن ركنين من أركان التنمية

الإقتصادية وهما: الثروة وفلسفة المجتمع، باعتبارهما يقودان التنمية الإقتصادية للثروة باعتبارها

ملكاً للمجتمع خصوصاً الثروات الطبيعية والمجتمع في ذاته ثروة إذا وظف بالصورة الصحيحة من أجل النهوض به، وهذا يرتبط بوجود رؤية اجتماعية للتنمية ومساها ومحاولة استشرف عائدها على المجتمع نفسه.

### الثروة والتنمية **wealth and development**:

يعد مفهوم الثروة من المفاهيم الثرية والشائكة الأمر الذي أوجد تبايناً كبيراً في تعريفه، ومن الأمثلة على ذلك أن " (مان Mun) وغيره من المفكرين الماركنتيليين وجدوها في التجارة الخارجية وما تأتي به من معادن نفيسة، أي أن زيادة الرفاه الاقتصادي لشعب ما لا يمكن أن يكون إلا على حساب الأمم الأخرى"<sup>(15)</sup> وهذا ما يمكن استنتاجه من خلال المقارنة بين الشعوب الأفريقية التي كانت تحت الإحتلال الفرنسي والشعب الفرنسي ذاته في تطوره وحضارته المادية على الأقل، في مقابل هذا التصور يرى (آدم سميت) أن مفهوم الثروة يعتبر " عمل الشعب هو الرصيد الذي يزود في الأصل كل الشعب بكل ما يحتاج من وسائل العيش الضرورية والكمالية"<sup>(16)</sup> ويضيف قائلاً في ذلك: " إن العمل السنوي لكل أمة هو رأس المال (الرصيد Fund) الذي يمدها أصلاً بما تستهلكه هذه الأمة سنوياً من ضروريات الحياة وكمالياتها، التي تتكون دائماً إما من النتاج المباشر لهذا العمل أو مما يشتري بهذا النتاج من أمم أخرى، و تكون الأمة أحسن إمداداً (Supplies) أو أسوأ إمداداً بكل ما تحتاج إليه من ضروريات وكماليات، تبعاً لما يتصف به هذا النتاج، أو ما يشتري به من تتاسب مع عدد الذين يستهلكونه ولكن لا بد لهذا التاسب من أن ينظم في كل أمة بمقتضى طرفين مختلفين، أولاً مدى ما ينتظم مزاوله عملها من مهارة وسداد رأي.

وثانياً بالتناسب بين عدد المستخدمين في العمل النافع، وعدد غير المستخدمين في عمل كهذا فأياً ما كان نوع التربة أو المناخ، أو سعة الأقاليم التي تحتله أمة من الأمم فإنه ينبغي لوفرة إمدادها السنوي أو ندرتها في هذه الحالة المخصوصة أن تعتمد على هذين الطرفين"<sup>(17)</sup> و نلاحظ في هذا التعريف الشمولية فلم تعد الثروة مرهونة بالتجارة الخارجية وكذلك لم تعد متوقفة على نشاط معين مثل النشاط الزراعي، الأمر الذي يقود إلى ضرورة التنمية في كل القطاعات التي تقيد المجتمع القابلة للإنتاج والإستهلاك، فالثروة هنا العمل عمل المجتمع بكل قطاعاته، وتعد نظرية (آدم سميت) من أهم النظريات الاقتصادية خصوصاً في الإقتصاد الكلاسيكي، لذا سنلقي نظرة بسيطة على رؤية (آدم سميت).

### نظرية آدم سميث Adam Smith's theory

يأتي (آدم سميث) في طليعة الإقتصاديين الكلاسيكيين و كان كتابه عن طبيعة و أسباب ثروة الأمم معنيا بمشكلة التنمية الإقتصادية لذلك فإنه لم يقدم نظرية متكاملة في النمو الإقتصادي و إن كان الإقتصاديون اللاحقون قد شكلوا بعده النظرية الموروثة عنه ومن سماتها:

1. "القانون الطبيعي اعتقد (آدم سميث) امكانية تطبيق القانون الطبيعي في الأمور الإقتصادية و من ثم فإنه يعتبر كل فرد مسؤولاً عن سلوكه أي أنه افضل من يحكم علي مصالحه و أن هناك يد خفية تقود كل فرد و ترشد ألية السوق، فإن كل فرد إذا ما ترك حراً فسيبحث عن تعظيم ثروته، و هكذا كان (آدم سميث) ضد تدخل الحكومات في الصناعة أو التجارة.

2. تقسيم العمل يعد تقسيم العمل نقطة البداية في نظرية النمو الإقتصادي لديه حيث تؤدي إلي أعظم النتائج في القوى المنتجة للعمل.

3. عملية تراكم رأس المال يعتبر التراكم الرأسمالي شرطاً ضرورياً للتنمية الإقتصادية و يجب أن يسبق تقسيم العمل، فالمشكلة هي مقدرة الأفراد علي الإدخار أكثر و من ثم الإستثمار أكثر في الإقتصاد الوطني.

4. دوافع الرأسماليين علي الإستثمار وفقاً لأفكاره فإن تنفيذ الإستثمارات يرجع إلي توقع الرأسماليين بتحقيق الأرباح و أن التوقعات المستقبلية فيما يتعلق بالأرباح تعتمد علي مناخ الإستثمار السائد إضافة إلي الأرباح الفعلية المحققة.

5. عناصر النمو وفقاً لنظريته تتمثل عناصر النمو في كل من المنتجين و المزارعين و رجال الأعمال، و يساعد علي ذلك أن حرية التجارة و العمل و المنافسة تقود هؤلاء إلي توسيع أعمالهم مما يؤدي إلي زيادة التنمية الإقتصادية.

6. عملية النمو يفترض فيها أن الإقتصاد ينمو من خلالها مثل الشجرة، فعملية التنمية تتقدم بشكل ثابت و مستمر فبالرغم من أن كل مجموعة من الأفراد تعمل معا في مجال انتاجي معين إلا أنهم يشكلون معا الشجرة ككل<sup>(18)</sup> من خلال هذا التصور عند (آدم سميث) نلاحظ التداخل بين مفهوم النمو الإقتصادي The concept of economic growth و مفهوم التنمية الإقتصادية The concept of economic development خصوصاً في بداية ظهور نظريات التنمية الإقتصادية Economic development theories ."

إن مصطلحي التنمية الإقتصادية والنمو الإقتصادي كثيراً ما استعملوا مجازاً كإسمين بديلين لمفهوم واحد ومع هذا فهناك اختلاف جوهري بينهما، فالنمو الإقتصادي يشير إلى ارتفاع في الدخل القومي الحقيقي

أو الإرتفاع في الدخل الفردي الحقيقي، ولكن التنمية تعني أكثر من هذا فهي إضافة الى النمو ..، تعني التغيرات الأساسية في الهيكل الإقتصادي للبلاد المعني<sup>(19)</sup> ونشير هنا ونحن في سياق آراء (آدم سميث) إلى نقطة مهمة في فكر هذا الإقتصادي وهي انه " يبدي بعض التحفظ والشك في إمكان تحقيق تنمية اقتصادية بمعدل معقول في الدول والشعوب المستعمرة ...، والمستعمرات وجدت لتغذي الدول الصناعية العظمى بالمادة الأولية"<sup>(20)</sup> هذا يعني أن المستعمرات بشعوبها وثرواتها ملك للمستعمر، وعليه حتى تنميتها ستكون بتخطيط وفلسفة المستعمر بصورة أوضح لا تنمية كاملة لها إذا وجدت أي تنمية فهي التنمية التابعة للمستعمرين، وعلينا أن نشير إلى نقطة مهمة جدا وهي أن توفر الثروة والدعوة بتوظيفها من قبل السياسيين والحكام لا يعني بحال حدوث التنمية لصالح المجتمع ومن الأمثلة على ذلك: " إذا نظرنا الى إيران بدخلها النفطي 1950 - سنة 1960م حينما ابتدأت مشاريع تنمية صناعية كبيرة وازداد زخم هذه التنمية بتضاعف سعر النفط إلى أربعة أضعاف في سنة 1973م، ولكن سوء استعمال مردود النفط بتكديس السلاح الزائد، وكذلك زيادة استغلال الطبقة الحاكمة لموارد البلد النفطية أدى كل ذلك إلى عزل غالبية السكان وشعورهم بأن ثروة البلاد قد احتكرت من قبل قلة من المستغلين أدى الى بدء الثورة ... وتوقف عملية التنمية خلال ذلك"<sup>(21)</sup> هنا وجدت الثروة وغابت الإستراتيجية المحلية قد لا أكون مبالغاً إذا قلت ظهرت الوصاية جلية في مجال النفط الإيراني " حين أدت الجهود المبذولة لتأميم إمدادات الوقود الأحفوري من الشركات الغربية إلى انقلاب أنجلو أمريكي عام 1953م ، مما أدى إلى حكم أوتوقراطي أكبر تحت حكم (محمد رضا بهلوي 1941-1979م) وتزايد النفوذ السياسي الغربي في مفاصل الدولة الإيرانية واستمر في إطلاق سلسلة إصلاحات بعيدة المدى في عام 1963 م، التي تضمنت النمو الصناعي، وتوسيع البنية التحتية، وإصلاح الأراضي، وزيادة حقوق المرأة، ومع ذلك بلغ عدم الرضا على نطاق واسع عن النظام الملكي ذروته في الثورة الإيرانية التي أسست الجمهورية الإسلامية الحالية في عام 1979م و تم تصادم إيران و العراق في عام 1980م ، مما أدى إلى حرب دامية وطويلة الأمد استمرت لما يقرب من ثماني سنوات، وانتهت بمأزق مع خسائر مدمرة لكلا الجانبين"<sup>(22)</sup> وضاعت فكرة التنمية المزعومة في الدولتين، وفي مسألة التنمية يجب التركيز على الشق الجوهري منها وهو الجانب البشري، لأن الثروة عمادها المجتمع بساكنيه والثروة الطبيعية التي توجد في أراضي الدولة، وفي هذا البحث احدد الثروة محل التنمية في:

1- الثروة البشرية human wealth.

2- الثروة الطبيعية natural wealth.

3- الثروة العلمية scientific wealth.



سوف أشير إلى هذه الأجزاء من الثروة بشكل موجز .

### الثروة البشرية والتنمية **human capital and development**:

تُعد الثروة البشرية عماد الثروات جميعها بما فيها التجارة الخارجية كما حددها (مان Mun) في التعريف السابق وكذلك هي الثروة كما حددها (آدم سميث) في مسألة العمل وهي كذلك القوة من خلال العمل كما يرى ذلك (توماس هوبس Thomas Hobbes 1558 – 1679م) وكانت هذه الثروة محل نقاش بين عدد من المفكرين لأهميتها، ولكنها في بعض الرؤى لم تكن مركزاً للتنمية بقدر ما كانت مشكلة يجب التخلص من جزء منها لصالح الطبيعة والثروة الكونية الجامدة، و من أوضح الأمثلة على ذلك رؤية المفكر (توماس روبرت مالتوس Thomas Malthus 1766 – 1834م) أحد اتباع المذهب الكلاسيكي في الاقتصاد إضافة إلى (دافيد ريكاردو David Ricardo 1772 – 1823م) صاحب نظرية الاقتصاد الريعي و(آدم سميث)، وهو من الجيل الثاني من المذهب الكلاسيكي ففي عام 1798 نشر بحثه الأول و هو عبارة عن مقالة في مبدأ السكان Essay on the Principle of Population وأعاد طبعه في عام 1803م، ومن أشهر أبحاثه مبادئ الاقتصاد السياسي، Principles of Political Economy قدم نظرية في السكان مفادها: " هناك ميل للسكان للنمو يتضاعف كل خمسة وعشرين عاماً وينمو بصورة متوالية هندسية 2-4-8-16-32-64-128، وهكذا في الوقت الذي ينمو فيه إنتاج المواد الغذائية، وفي أفضل الحالات بصورة متوالية عددية 1-2-3-4-5-6-7 ، هكذا في هذه الحالة ستكون نسبة السكان إلى كمية المواد الغذائية الضرورية التي إحتسبها في القرنين القادمين هي 256 إلى 9 وبعد ثلاثة قرون ستكون هذه النسبة هي 4096 إلى 13"<sup>(23)</sup> ولمحاولة وجود توازن بين السكان والموارد الغذائية يرى وسيلتين: " الوسيلة الأولى يسميها عقبات وقائية و هي كل ما يمكن أن يؤدي إلى تقليل نسبة الولادات، الوسيلة الثانية فهي العقبات الإيجابية وهذه تشمل بالنسبة له كل ما يؤدي إلى ارتفاع نسبة الوفيات من حروب وأوبئة وأمراض ومجاعات"<sup>(24)</sup> وهنا يطرح السؤال التالي: هل الفكر الغربي يتبنى مثل هذه الرؤية ولو على الشعوب غير الغربية؟ بهذا التصور تغيب فكرة التنمية على بعض الشعوب وخصوصاً المستعمرة منها ما يعني أن التنمية بشقيها العام والمحدود ستكون في نطاق الدول الغربية والمستعمرة للشعوب الأخرى، ويُعد هذا نقص وقصور كبير في نظريته و يمكن تقديم بعض الإنتقادات للنظرية منها:

1- لم يقدم (مالتوس) مشروعاً لتنمية العقل البشري في الجانب العلمي بخصوص تنمية المصادر

الغذائية.

- 2- لم يكن قادرا على استشراف أبحاث علوم الوراثة في مسألة زيادة الإنتاج في البر والبحر.
- 3- ركز على قانون بيولوجي واحد وهو كما يراه قانون الغريزة الجنسية.
- 4- لم يضع نصب عينيه من قوانين الإقتصاد إلا قانون تناقص الغلة، و إحصاءاته التي اعتمد عليها كانت وفقاً على أمريكا ولم يضع في حساباته الهجرة الكبيرة في ذلك الوقت لأمريكا، الخلاصة في هذه الفقرة غابت التنمية وأسسها من تصور (مالتوس).

### الثروة الطبيعية والتنمية :Natural wealth and development

أقصد بالثروة الطبيعية هي كل ما تنتجه الأرض والبحار والأنهار والبحيرات من غذاء، وما بها من معادن مثل الذهب والحديد و النفط والغاز والنيكل والنحاس و كل ما يمكن أن يسهم بشكل فاعل في عملية التنمية وتوظيفه لصالح الإنسان في الدولة الساعية للتنمية، وتعرف الثروات الطبيعية بالقول: " الثروات الطبيعية Natural resources أنها العناصر المادية في الطبيعة اللازمة لبقاء الإنسان وتطويره، وهي عناصر طبيعياً قائمة بذاتها، وتتضمن الموارد المعدنية، وموارد المياه، وموارد الأرض، والموارد البيولوجية، ويُمكن تصنيفها وفقاً لتجددها إلى مصادر متجددة وغير متجددة. الموارد الطبيعية المتجددة: هي الموارد التي يمكنها أن تتجدد باستمرار وبشكل طبيعي بعد الإستخدام، وتتضمن العديد من الموارد، كالرياح، والمياه، والغطاء النباتي الطبيعي، والطاقة الشمسية، والحيوانات، وتتميز هذه الموارد بوفرتها في الطبيعة، هذا عدا على أن معدّل إنتاجها يتجاوز معدل الإستهلاك البشري لها، وتُعدّ من الموارد المُتاحة وقليلة التكلفة.

الموارد الطبيعية غير المتجددة: تتميز الموارد غير المتجددة بأنها تستغرق وقتاً طويلاً للغاية لكي تتجدد بعد استخدامها، كما أنها موجودة بكميات محدودة، وتشتمل على منتجات النفط الخام، والمعادن الثمينة، والصخور، و الغابات، هذا كما تصنّف بعض أنواع الحيوانات المُهددة بالإنقراض كموارد غير متجددة، وذلك لأن معدلات وفياتها أعلى بكثير من معدل تكاثرها، لذا ينبغي حماية الموارد غير المتجددة واستخدامها بشكل منضبط تجنباً لنضوبها"<sup>(25)</sup> هذه الثروة يمكن أن توظف في قيام عملية التنمية و يكون مردودها مفيداً للمجتمع، وهناك دول توظف هذه الثروات في المسائل الإقتصادية والحياة اليومية للشعوب وكذلك في تعزيز سيطرتها على دول أو أجزاء من دول أخرى، كما نرى ذلك في التصرفات الروسية في أوكرانيا والتصرفات الأمريكية ضد روسيا، وتوظيف دول أوربا لتحقيق الهدف الأمريكي في السيطرة على العالم، لكن السؤال هل هناك قارات غنية بالثروة الطبيعية و لكن شعوبها تعيش في قمة الفقر وعلى

رأسها القارة الأفريقية و لماذا؟ التاريخ والواقع يؤكدان رزوح هذه القارة وجل سكانها تحت الإستعمار الذي يمثله الإنسان خصوصاً الدول الأوروبية مثل بريطانيا وفرنسا، وبعد أن تدعي خروجها ومنح شعوبها الحرية تسلم تلك الدول و الشعوب لحكام عملاء، ومازالت تكون الحكومات وتجهز العملاء وهذا أكبر عائق في محاولة بناء تنمية تتقذ تلك الشعوب، ما أود قوله إذا لم ينم الإنسان و إذا لم يعلم هذا فإن فكرة التنمية ستظل حبراً على ورق، ومن الأمثلة على ذلك تمتلك فرنسا رابع أكبر احتياطي من الذهب يقدر بـ 2436 طن رغم عدم وجود منجم ذهب واحد على أرضها، بينما لا تمتلك مالي التي تحتلها فرنسا أي احتياطي من الذهب في بنوكها رغم انه يوجد بها 860 منجماً للذهب وتنتج 50 طناً سنوياً !!! أين ذهبت ثروات مالي؟ التنمية تبدأ بالحرية والتخلص من وسائل الإستعمار.

### الثروة العلمية والتنمية Scientific wealth and development:

أقصد بهذه الثروة العقل العلمي بين شعوب العالم وكيفية توظيفه لصالح الإنسان من خلال أبحاث العلم وتطور التكنولوجيا، لأن العلم عبر تاريخه يؤكد أنه نتاج مشترك لكل الإنسانية فتوظيفه في التنمية المحلية على مستوى الدول يعد نقطة تحول مهمة، خصوصاً في حياة الشعوب المقهورة كذلك توظيفه في التنمية الكونية، وقد بزغ العلم والفلسفة في أرض اليونان وانتقل للعالم العربي فحافظ عليه ونقله لأوروبا عبر علمائه ومراجعته وعبر مراكزه العلمية في الأندلس ودمشق و بغداد و غيرها من منارات الوطن العربي، وكان العلم موجوداً في جل الحضارات كما في الحضارة الصينية والهندية، ولكن حدث في هذا المنشط البشري بعض المفارقات التي جعلته يتقدم في مناطق ويتأخر في أخرى على مستوى العالم خصوصاً في الجوانب العسكرية، التي وظفت العلم في الإستعمار وقهر الشعوب و تكريس نوع من العبودية كما نلاحظ ذلك بين القارة الأفريقية وأوروبا، وكما نرى اليوم حيث تقوم الدول الكبرى ذات السلاح المميز والقاتل لروح الحضارة كما فعلت أمريكا بالعراق وحضارته وما تقوم به روسيا اليوم ضد أوكرانيا، ويمكن توظيف هذه الثروة في:

1- التنمية الزراعية Agricultural development من خلال المحافظة على انتاج الغذاء وتطويره.

2- التنمية الصناعية Industrial development من خلال الإستفادة من المواد الخام في أراضي الدول.

3- التنمية البشرية Human Development وهي عماد كل تنمية ممكنة.

4- التنمية الكونية cosmic development وبهذا يكون العلم قادراً على الإسهام في التنمية

المحلية والتنمية العالمية وغيرها من المجالات الأخرى.

### التنمية القاصرة deficient development:

و أقصد بالتنمية القاصرة التنمية التي تكون عليها وصاية من جهات ذات مقدرة ونفوذ من خارج الدولة التي تحاول تنفيذها، ومن أوضح الأمثلة على ذلك التنمية و الثروة في إيران التي تسمح بالتنمية جاءت نتيجة لظهور النفط في البلاد والنفط استخرجته الشركات الغربية المقيدة بسياسة دولها وطموحها الخاص، ولهذا كانت الحكومة في إيران وفي كل الدول النفطية القاصرة في مجال النفط تنقيب واستخراج وتكرير هي إيران الأخرى بمعنى مواردها النفطية مقيدة والنتيجة أن التنمية فيها تراقب إن لم نقل مبرمجة من الطرف الآخر!!، وهذا يتضح بجلاء من خلال شراء السلاح الزائد عن الحاجة لأن العالم الغربي وخصوصاً أمريكا كانت تملك خطة الحرب الإيرانية العراقية، أو هكذا أزعج من أجل المحافظة على ما يسمى بدولة إسرائيل وبهذا فإن أموال إيران وكذلك أموال العراق عُدها الضياع و ربما دون علم حكام الدولتين! إضافة إلى نقطة أخرى تجعل التنمية مقيدة وهي الأخطر، أعني قتل الثروة الحقيقية و هم العلماء و تهجيرهم، و كذا زج شباب البلد في حروب لا قيمة ولا هدف لها كما حدث في حروب الصحراء الكبرى وأوغندا، الخلاصة هنا التنمية القاصرة نتيجة طبيعية لفقدان السيادة الكاملة ومحاولة إظهارها من قبل حكام لا يملكونها.

### الفلسفة والتنمية Philosophy and development:

على الرغم من الأهمية الجوهرية للثروة في مجال التنمية إلا أن التجارب تؤكد أهمية الرؤية، والرؤية الشمولية التي تقع البلاد في مضمونها تلك الرؤية القادرة على انجاز التنمية مع عدم وجود فوارق بين أبناء المجتمع وشعورهم بالظلم والمهانة، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث في دولة باكستان سنة 1960 م حينما عايشت فترة من التقدم الصناعي السريع، ولكن وبسبب أن معظم التنمية كانت مركزة بالمنطقة الغربية من البلاد وأن المنطقة الشرقية قد لحقها القليل من الاستفادة من عمليات التنمية، فإن سكان المنطقة الشرقية قد ارتأوا أنهم الخاسرون وكان نتيجة لذلك أن قامت حرب أهلية أدت إلى انقسام باكستان إلى بلدين وظهور ما يسمى بدولة بنجلاديش<sup>(26)</sup> أول رئيس لبنجلاديش (شيخ مجيب الرحمن 1920 – 1975 م) أو البانجو باندو ويعني أبا الأمة أو صديق البنغال هو المؤسس الحقيقي لدولة بنجلاديش، التي تأسست بعد انفصالها عن باكستان سنة 1971م. هذه النتيجة أعقبها ركود اقتصادي في الدولتين إضافة إلى تمزق الدولة الواحدة والنتائج القاسية التي ترتبت على تلك الحرب، كل هذا كان نتيجة لفشل فلسفة واستراتيجية التنمية وعدم دراية و وضع خطط لها.

### بداية التنمية development start :

" البداية الصحيحة دائما تنطلق من الفرد ذاته، فإن كان ضائعا بذاته فسيكون ضائعا بالعالم الخارجي وإن كان واعيا فاهما ومدركا بذاته فسيكون فاعلا ومنتجا بالعالم الخارجي، لأنه يمتلك بوصلة معرفية تحدد وجهته وتعيده للطريق إذا تاه عنه نتيجة ظروف بيئية خارجية"<sup>(27)</sup> قد يكون هذا الفرد يخطط لنفسه أو أسرته أو مجتمعه وقد يكون هيئات في دول تخطط لشعبها ولشعوب العالم الآخر بمقاصد لا يعرفها ولا يدرك خطرها عدد من البشر، وفي مسألة البداية في مسار التنمية الإقتصادية طرحت بعض الآراء منها:

- 1- " أن المشكلة الأساسية في التنمية الإقتصادية هي كيفية البدء في مسارها الصحيح"<sup>(28)</sup>
- 2- رفض هذا الرأي من خلال الإنتقادات التي قدمت له.
- 3- أرى أن التنمية الإقتصادية يجب أن تقوم على تصور فلسفي قيمى عملي و فكر بعيد مجرد يخدم المجتمع ويستوعب التغيرات الدولية والإقليمية، و في طرح من نظريات التنمية الإقتصادية، والتنمية الإقتصادية هي العملية التي تسمح بمرور بلد ما من وضعية معينة في التخلف إلى وضعية التقدم.

### خصائص التنمية Development characteristics :

- 1- تحدث تغيرات في كل من الهيكل و البنيان الإقتصادي، و المتمثلة في اكتشاف موارد إضافية جديدة و تراكم رأس المال، مع إدخال طرق فنية جديدة للإنتاج وتحسين المهارات ونمو السكان.
- 2- تحدث تغيرات في تركيبة السكان من حيث الحجم و السن، و تتمثل كذلك التنمية في إعادة توزيع الدخل، وفي تغيير الأذواق مع إدخال تعديلات مرفقية وتنظيمية.
- 3- توجد شخصية متميزة للشعوب التي تقوم بها خصوصاً في المجالات المتقدمة والتي أصبح الإنسان في حاجة لها أكثر من ذي قبل.
- 4- كما أنها تحدث تطوراً علمياً يؤدي إلى تقدم المجتمع في كل المجالات.

\*\*\*

## المراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب المحيط، قدم له عبد الله العلابي، أعاد بناءه يوسف خياط، مج6، دار الجيل بيروت، دار لسان العرب بيروت سنة 1988، ص:725.
2. حسام الدين إبراهيم، دوغان دليل جولتن " التجربة الماليزية في التنمية المستدامة: المجال التعليمي نموذجاً " Journal of Islamic and Humamities Studies Vol 1/no2–August 1443/2021 IDDN;2791–6561p.186–187.
3. سناء الدويكات " مفهوم التنمية لغة واصطلاحاً" موقع موضوع، الشبكة العنكبوتية، 2016م.
4. وهيب مسيحة " فلسفة الاقتصاد" مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، ص:221.
5. أفلاطون " الجمهورية" ترجمة، حنا خباز. بيروت.
6. نصر عارف، " مفهوم التنمية" كلية العلوم السياسية-جامعة القاهرة، موقع اسلام اون لاين، الشبكة العنكبوتية.
7. نصر عارف، " مفهوم التنمية" كلية العلوم السياسية-جامعة القاهرة، موقع اسلام اون لاين، الشبكة العنكبوتية.
8. وهيب مسيحة " فلسفة الاقتصاد" مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، ص:217.
9. جلال أمين " فلسفة علم الاقتصاد" الطبعة الثالثة، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2014م، ص:235.
10. <sup>1</sup> بشير محمد الويفاتي " مقدمة في علم الاقتصاد – الجزئي والكلّي" 2008 م، ص:371.
11. الشبكة العنكبوتية
12. مروة حمزة " مفهوم التنمية الاقتصادية" الشبكة العنكبوتية، موقع سطور.
13. بشير محمد الويفاتي " مقدمة في علم الاقتصاد – الجزئي والكلّي" 2008 م، ص:7.
14. أبو القاسم الطبولي، على عطية عبدالسلام، فرحات صالح شرننه " أساسيات الاقتصاد" الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصراته، ليبيا، ص: 13.
15. عدنان عباس على " تاريخ الفكر الاقتصادي – من الفكر الاغريقي إلى انتشار وتطور الفكر الكلاسيكي في الأقطار المختلفة" الطبعة الثانية، منشورات جامعة قاربونس، 1991م، ص:168.
16. المرجع السابق ذكره والصفحة.
17. آدم سميت " بحث في أسباب وطبيعة ثروة الأمم" ترجمة، حسني زينة، الطبعة الأولى، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد، أربيل، بيروت، 2007م، ص:5.
18. موقع معرفة " نظريات التنمية الاقتصادية" الشبكة العنكبوتية.
19. بشير محمد الويفاتي " مقدمة في علم الاقتصاد – الجزئي والكلّي" 2008 م، ص:371.
20. صلاح الدين نامق " قادة الفكر الاقتصادي" دار المعارف، القاهرة، مصر، ص:20.
21. بشير محمد الويفاتي " مقدمة في علم الاقتصاد – الجزئي والكلّي" 2008 م، ص:388.
22. موقع معرفة الشبكة العنكبوتية.
23. عدنان عباس على " تاريخ الفكر الاقتصادي – من الفكر الاغريقي إلى انتشار وتطور الفكر الكلاسيكي في الأقطار المختلفة" الطبعة الثانية، منشورات جامعة قاربونس، 1991م، ص:240.
24. عدنان عباس ص 241.
25. روان وجيه نجار " ماهي الثروات الطبيعية" موقع موضوع، الشبكة العنكبوتية.
26. بشير محمد الويفاتي " مقدمة في علم الاقتصاد – الجزئي والكلّي" 2008 م، ص:388.
27. عالية فيصل الخالد " من أين تبدأ التنمية" الأبناء الكويتية، الشبكة العنكبوتية. الصفحة الرئيسية.
28. بشير محمد الويفاتي " مقدمة في علم الاقتصاد – الجزئي والكلّي" 2008 م، ص:387.